الفصل الرابع عشر
ريما عامر الجمل

الإهداء

إلى كل من كان سببًا في نجاحي، إلى من أحببت الحياة بوجودهم ...صديقاتي _هبة البزم، و ديما الحاج_ واختي العزيزة _نور الجمل_ : شكرا لضوء الأمل الذي أضأتموه في عتمة طريقي .

أحبكم جداً.

****

واسجد واقترب

بعد يوم طويل مليء بالمتاعب فتحت هاتفي لأرى من افتقدني وأرسل لي رسالة، لم أجد أحداً، لماذا لا يتذكرني أحد؟ ألهذه الدرجة لست مهما بالنسبة لأحد؟ أيعقل أنني لم أترك أثراً بنفس أحد ليتذكرني بالخير؟ إن لم أبدأ أنا بمحادثه أشخاصي المفضلين لا يبدؤون، ألست مفضلاً لديكم كما حالكم في قلبي؟ يبدو أن الجواب لا.

في هذه المواقف فقط تكتشف من يحبك ويفضلك ويصيبه القلق حولك، إن غبت عنه يفتقدك ويبحث عن طريقه للوصول إليك، إن كنت حزيناً يبحث عن طريقة تجعلك سعيداً، وإن كنت سعيداً يفرح لسعادتك ولا يحسدك عليها، وإن كنت مهموماً يخفف عنك همك، وإن كنت لا تملك هذا الشخص فقد خسرت ملجأ لك مليئاً بالدفء.

أمك، صديقك، أباك، أخاك، أختك، أي كان هذا الشخص إن لم يكن موجود في حياتك فأنت قد خسرت الكثير، وإن كان موجودا فأنت ربحت كنزاً ثميناً.

سأخبرك شيئاً جميعنا راحلون والباقي هو الله وحده الذي لن يرحل إن كان شخصك موجود احمد الله عليه وادع أن يطيل بعمره، وإن ذهب فليكن الله هو سندك وإن لم يكن موجودا فليكن الله سندك أيضاً، كن قريباً من الله في كل الأمور والحالات، أسجد له وتحدث معك وأَخرج كل ما في قلبك كما تخرجه لشخصك المفضل، أخبره عن كل شعور مررت به، احمده، ادعه صلّ له واسجد واقترب منه، سيكون معك في جميع حالتك وسيدوم معك لأنه الدائم.

حزن، كآبة، حالة نفسية صعبة، شعور مؤلم، خراب داخلي يكمن داخلك مشاكل وضغوطات متراكمة، لا تجد لها حلاً، لا تعلم ماذا ستفعل ليس لديك أحد، الوحدة تحتل عالمك المليء بالسواد ليس لديك من تلجأ إليه في حزنك وألمك، لا أحد سيسندك عندما تسقط تائها في عالمك الكئيب مثل طفل تركته أمه وهو صغير، وتوفي أباه بعدها ولم يبقَ لديه أحد لا يعرف ماذا سيفعل؟ لكن أتعلم!

أن هنالك أحد بجانبك دوماً ولم يتركك، لطالما كان معك وكان يشعر بك ويعلم بحالتك هذه، لكنك لم تعرفه... لم

تتقرب إليه ولم تطلب المساعدة منه، حتى أنك لا تعلم من هو ولكن هو يعرفك جيدا وينتظر أن تعرفه وتستشعر بعظمته ليساعدك، إنه ينتظر دعوة واحدة منك، أو حتى سجدة واحدة تلين قلبك.

أتعلم من؟

إنه ربك، هو الله وحده كان بجانبك وحده كان يعلم ما بك، ربما هو أراد بك ذلك لتتقرب إليه، لربما أنت ابتعدت عنه أو لم تعرفه من الأساس، ربما هذا هو السبب في كربتك، بعدك عنه أدى إلى ذلك.

كن معه يكون معك، تقرب إليه يتقرب إليك بالنهاية، عد إليه وإلى صلاتك ليستقيم حالك.

النعمة التي تملكها من صحة وعافية، من سعادة وفرح، من مال وجاه وسلطة، من عائلة وأولاد وأحفاد، من أصدقاء أوفياء، من حب يملأ عالمك يجعلك تحلق من السرور وراحة البال، من جمال شكلي وروحي...

كل هذه النعم والمزيد منها التي لا تعد ولا تحصى مهما حاولنا أن نحصيها، رزقنا إياها الله تعالى والتي من دونها

لا نستطيع العيش، وحتى هذه الحياة هي نعمة لك، وجودك فيها ليس عبثاً إنما أنت وجدت لتغير بهذا العالم فقد خلقك الله لشيء حتماً، فكل هذه النعم تستحق أن تشكر الله عليها، أن تحمده على ما أعطاك، أن تقدم له بعض الشكر والتقدير، أن تعطي عباده مثلما أعطاك فهذا يعتبر نوع من الحمد أيضاً.

الله يحب الحامدين الشاكرين لذلك من يحمده ويشكره ويستعين به بقلب طاهر ونية صافية له الجنة، ومن عجائب الحمد أن كلمة الحمد لله مكونه من ثمانية أحرف، وأبواب الجنة ثمانية أبواب، للحامد الحق بدخول الثمانية أبواب فيختار الباب الذي يريده.

والحمد والشكر لا يقتصر فقط على قول الحمد لله أو الشكر لله فهنالك الكثير من الأساليب مثل سجود الشكر، والاعتراف بالنعمة لقوله تعالى (فأما بنعمة ربك فحدث)، ومشاركة هذه النعم مع البشر، والدعاء بدوام هذه النعمة علينا.

صغيرة متشردة في شوارع الحياة لا تعلم من هو سندها أو من لها كل همها أنت تعلم ماذا ستفعل في هذا اليوم الذي ستعيشه، تفكر من أين ستأتي بقُوتِهاَ لهذا اليوم؟ ولا تعلم إن كانت ستجده أم لا، لا أحد يعلم بها ولا يهتم لأمرها وهي تعلم ذلك، لكنها لا تعلم أن هناك من لم ينسَها لأنه لا ينسى عباده الذي خلقهم ويؤمن لها طعام وشراب لتغذي به نفسها.

لقد كتب لها ذلك ليختبر مدى صبرها وتحملها، ليعلمها أن الحياة مليئة بالصعاب والمشاق، وأن لقمة العيش لا تأتي بالسهل كل شيء له حكمة، ولتشردها وقساوة الحياة معها لها حكمة والله لم ينساها فهي على قيد الحياة ولها نصيب من هذه الدنيا لتأخذه، كتب قدرها عليها هكذا.

لو يرشدها أحدهم أن تقوم بالدعاء، أن تسجد بين يد الله وتخبره بكل شيء وهو العليم بحالها، لو يقول لها أحد أن الله موجود ليساعدها وأنه لم يخلقها عبثاً وأن بعد الضيق فرج، وأن الله سيفرج همها ويخفف عنها كربتها، هو لم يرزقها أمّاً ولا أباً ليحمياها ولكنه هو الحامي لها.

ليت لأحد أن يخبرها بأن الله يجيب الدعاء، ليت أحداً أخبرها بأن السجود ولاقتراب من الله هما الحل، ليتها تعلم ذلك.
جميلة الخُلق والأخلاق، محببة للناس، لطيفة السلوك، فاعلة للخير جابرة للخاطر تحب كل عمل يزرع السعادة في قلوب الناس وقلبها أيضاً، تتمتع بفؤادها الطيب شديد البياض، بنيتها الصافية اتجاه الجميع.

الكلمة الطيبة دائماً على شفتاها لا تنطق إلا بها، تربت هكذا ونشأت على هذه المبادئ والقيم الحميدة، لا تجد راحتها إلا براحة من حولها.
لكن المرض تغلب عليها، هدم أحلامها التي كانت تطمح لها لكنه لم يفقدها ابتسامتها، لم يجعلها تتخلى عن مبادئها، لا زال شغفها موجود وحب الحياة مزروع في قلبها، أملها بالشفاء متواجد لم تفقده، وأملها بالله أنه سيشفيها أكبر من أي شيء، ثقتها به عمياء، الدعاء لا يفارقها في المطر، في السجود، في قيامها الليل، دوما تدعو لنفسها بالشفاء، هي صابرة على ما ابتلاها الله، وعلى يقين بأنه 'إذا أحب عبداً ابتلاه' تردد بأن الله هو الشافي المعافي.

والله لم يخيب أملها، مع الكثير من الدعاء والصلاة والإلحاح على العلاج تمكنت من الشفاء بعد جهد وتعب وإرهاق جاءت النهاية براحتها فقد شفيت تماماً من الأمراض، ستتمكن أخيراً من الانطلاق لتحقيق أحلامها وطموحاتها.

الثقة بالله تعالى والدعاء والصلاة والاقتراب منه يحقق المستحيل والله قادر على كل شيء، فقط كن على يقين بالله واسجد واقترب.

الدنيا مكان العيش المليء بالتفاؤل و الأمل، مكان المحبة و المودة، مكان الأهل و الأصحاب التي لا تحلو إلا بهم ولا نستمتع بحلاوتها إلا معهم، نعيش بها مرة واحدة ولا نعود إليها أبداً، سنعيشها بحلوها و مرها، لا نستطيع إعادة ماضيها ولا نعرف ماذا تخبئ لنا في المستقبل، لنعش بها سعداء، لنسعد أنفسنا بها قدر الإمكان، نستغلها بعباده الله و فعل الخير و نملؤها بالمواقف الحلوة راضين بما كتبه الله لنا لنعيشه بها مؤمنين بأننا سنأخذ نصيبنا منها سواء كان خيراً أم شراً.

لنسلك بها الطريق اليمين لا اليسار لنختار الأفعال الحسنة لنعمل بها ونغض حواسنا ونبعدها عما يغضب الله تعال منا، لتكن لدينا القناعة بما نملك وبحالنا أي كان ولا ننظر إلى الناس ونتمنى ما لديهم، نستمتع بما لدينا من متاع حلال لنفرغ عقلنا من الأفكار السلبية ونزرع به الأفكار الإيجابية، وحتى أحياناً يجب علينا إراحته من التفكير لنصفي ذهننا ويرتاح عقلنا ونجيد التفكير فيما بعد.

لنعشها كما نريد نحن لا نهتم لكلام الناس ولا لأمرهم، ندعهم يتحدثون خلفنا ولا نعيرهم أي اهتمام لأنها حياتنا نحن وليست حياتهم، سنسير في الطريق الذي يرضي الله لا يرضي الناس، نحن لم نخلق للاستماع لهم بل للاستماع لكلام الله وأوامره، بالنهاية سنعيش بهذه الدنيا المؤقتة ما كتبه الله لنا وتزيد حلاوتها بعبادته وحده لا شريك له، لذلك لنسجد ونقترب منه وهو خير المقربين.
الموت قريب، المعاصي تلاحقنا، العبادات تنادي لا يوجد ملبي جميعنا راحلون وسيأتي يوم الحساب، الجنة تنتظر المؤمنين والنار جائعه تنادي العاصيين، سنحشر،

ونصطف، ونحاسب هذا شيء أكيد لكن هل نحن مستعدون لهذا اليوم؟ هل نحن جاهزون للقاء الله جل جلاله؟ متى سنتوب توبةً نصوحاً؟ متى سنعود لصلاتنا وصيامنا؟ متى سنتصدق؟ متى سنكفل أيتاماً؟ متى ستعود لنا أخلاقنا التي فقدناها في زمننا هذا؟

الموت قريب جداً، والله غفور رحيم يعطيك فرصة بالعيش في كل مرة لتعود إليه تائبا، ليغفر لك، هل ستستغل هذه الفرصة؟ متى إذا؟

ابدأ من الآن، لا تنتظر غداً، هل تضمن العيش لغد؟ بالتأكيد لا، استغل اللحظة وابدأ.

عد إلى ربك تائباً ملبيًّا لعباداته مقيمًا لصلواته متصدّقاً لفقرائه لتكون مستعداً للقائه.

تقرب من الله والله سيتقرب منك فإنه يحب عباده التوابين، تب وهو بالتأكيد لن يخذلك.

****